14 me Année No. 700

Lundi — 20 — 12 — 1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٠٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ٨ محرم سنة ١٣٦٦ — ٢ ديسمبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

ساعة فاصـــلة . . . !

للأســـتاذ محمود محمد شاكر

إذا المرء لم يحْتَلْ وقد جَدَّ جِدّه
أضاع وقاسَى أمرَه وهو مُدْبِرُ
ولكن أخو الحزْمِ : الذى ليس نازلا
به الخطْبُ إلا وهو للقصْد مُبصرُ
فذاك قريع الدهر، ماعاش، حُوَّلٌ
إذا سُدَّ منه مَنْخِرٌ جاش مَنخرُ

وأىُّ خطب ! ! فنحن أمة قد عاشت أكثر من أربع وستين سنة تجاهد عدُوّاً لدوداً ، واسع الحيلة ، كثيرَ الأعوان ، ينفثُ سمه حيث مشى ، ويُخفى غوائله ليكون فتكه أخْفى وأنكى وأشدَّ . فاتخذ لنفسه من صميم هذا الشعب رجالا خدعهم عن عقولهم ، وزيَّن لهم أن يعملوا فى الدسيسة للأرض التى أنبتتْ عليهم شحومهم ولحومهم وحملتهم على ظهْرها هم وآباءهم وأبناءهم وذَرَاريهم ، وأظلَّتهم سماؤها بالظلّ الوارف الظليل ، وسكَبَتْ فى نفوسهم سرّ الحياة ، وسقاهم نيلها بدَرّه الذى اشتدَّت عليه أبدانهم وأحوالهم ، ومهّد لهم من المتاع ما أطغاهم وكان خليقاً أن يملأ قلوبهم شكراً ، وألسنتهم حمداً وثناء .

وزاد فأطلق فى جنَبات هذا الوادى أسراباً من صعاليك الأفاعى الأجنبية ، أجافت الوَادِع ، ولدَّغت السليم ، وذادَتْ عن سُهول هذا الوادى كل حىٍّ من أبنائه حتى ضاقت عليهم الأرض بما رَحُبَتْ وضاقت عليهم أنفسهم . ولم يزل ذلك دأبنا ودأب عدوّنا حتى أتاح الله الحرب العالمية الأولى فاستعلن من ضغينته وبغضائه ما اكتتم ، وأعلن الحماية على أرض مصر . فلما خرج ذلك العدوّ من لأواتها منصوراً مظفَّراً ، لم يبال الشعب المصرى العزيز بسطوة ولا بأس ولا قوةٍ من حديد ونارٍ ، فثار ثورته العجيبة فى أوائل سنة ١٩١٩ ، وما كان يخيّل للعدو الباغى أن ذلك شىء ممكن ، وبعد لأى ما تحقّقَ من أنه شعب حديدُ العزم لا تُرْهبه القوة الباطشة ولا العدوان الغشوم . فاحتال له حيلة أخرى يفرّق بها بين الرجل وأخيه ، والأب وبنيه ، والأمّ وفلذات أكبادها ، فرمانا بالداهية الدَّهياء التى حملت الناس يختلفون بينهم على غير شىء إلا الحُكم والسلطان ، وتدسَّس إلى قلوب الرجال شيطانٌ مريدٌ هو : تلك الحزبية والعصبية للأشخاص ، فكادت تنقض بناء هذه الأمة حجراً حجراً .

ثم كان من رحمة الله أن جاءت الحرب العالمية الثانية ، فخرج منها عدوُّنا مرة أخرى منصوراً مظفراً ، فلم يبالِ الشعب المصرى وخرج يقول له : « اخرجْ من بلادى ، وردَّ على جنوب الوادى » وكادَ يكون ما كان فى سنة ١٩١٩ ، ولكن العدو كان أسرع حيلة وأرشق حركة ، فنَصَبَ رجالا منّا ليحملوا بلادهم على

سبيل مضلّة . فكانت هذه المفاوضات الخبيثة التي ظلّت تدور شهراً بعد شهر إلى غير نهاية إلى يومنا هذا ، بيد أن الشعب نفسه ظل هادئاً متربصاً طوال هذه الشهور وهو عالمٌ أن المفاوضة كلامٌ لا يغني فتيلا ، وأن « الجلاء » حقٌّ لاينازعه فيه أحد ، وأن ضمّ السودان إلى أخته مصر حقٌّ لن يعوقه عنه بطشٌ ولا جبروت ، وأن الحرية حقُّ البشر منذ يولدون إلى أن تُطمَّ عليهم القبورُ . ومضت الأيام والشعبُ يسمع لَجاج المفاوضة وهو غيرُ راضٍ ، ولكنه استنكف أن يحولَ بين طائفة من أبنائه وبين ما يظنون فيه الخير لبلادهم ، فتركهم يعملون ليعرفوا أخيراً ماعرفه هو بفطرته النقيّة : أنْ لاخير في مفاوضة الغاصب القويّ حتى يردّ على المغصوب الضعيف ما سلَبَ منه ، وأن الإباء هو خُلُق الأحرار ، وأن العزْمَ هو المنقذ من ضلال السياسة ، وأن اجتماع الكلمة على الجهاد في سبيل الحق هو الخلاصُ وهو سبيل الحرية .

وقد انتهت الآن هذه المفاوضات وجاءنا المشروع الذي يرادُ لنا أن نصدّق عليه ونقبله ، فللأمة حقُّها اليوم أن تقول كلمتها ، ولكل مصريّ أن يقول كلمته ، وليس لهيئة المفاوضة ولا لرئيس الوزارة أن يفتاتَ على حقّ الشعب بشيء لا يرتضيه الشعبُ ، فإن هذه ساعة حاسمةٌ في تاريخ الشعب المصريّ ، بل ساعة حاسمة في حياة أبنائنا الذي يدبُّون على الأرض ، وحياة النَّسْل المصري الذي يسري في الأصلاب حتى يأتي قدرُه . وإنه لهولٌ أي هول أن ينفرد رجُلٌ أو فئة من رجالٍ بالتصرُّف في هذه الأنفُس البشرية كأنهم أصحابها وخالقوها والناحو الحياة في أبدانها . فالله الله أيها الرجال في مصاير بلادكم وأبنائكم وورثة المجد القديم الذي يطالبهم كما يطالبنا بأن نعيش أحراراً في بلادنا ، وبناةً لأمجادنا ، وحَفَظةً على تاريخ أجدادنا .

وليأذن لنا أولئك الذين يظنون أنهم كما قال الشاعر :

وعلمتُ حتى ما أُسائل واحداً من علْمِ واحدة لكي أزدادها

وليأذن لنا أولئك الذين يظنون أنهم مالكو رقاب هذا الشعب بمالهم أو جاههم أو سلطانهم ، وليأذن لنا أولئك الذين هانت عليهم أنفسهم فضاقوا ذرعاً بإباء هذا الشعب أن يكون كـكلب الرُّفقة يشركهم في فضلة الزّاد ، فاذا ضجروا به قالوا له اخسأ أيها الكلب ، وليأذن لنا المخلصون من الكُتّاب الذين يظنون أن التساهل والتغاضي لا بأسَ به ما دُمنا لا نملك أسطولا ولا طائرات ولا سلاحاً ولا قنابل ذرّية ، وأنه لذلك لا بد لنا من أن نحالف حليفاً قوياً ينصرنا إذ بُغي علينا ، ويردّ عنا إذا زحف عدو إلينا — ليأذن لنا أولئك جميعاً أن نتكلم بلسان مصر المظلومة المهضومة ؛ فإنها هي وحدها التي ينبغي أن تنطق وتقول ، فإن قولها هو القول الفصْل — لا قول العلماء الذين يرون أن لاعلم إلا علمهم ، ولا قول أصحاب المال والسلطان ولا قول المتهاونين الذين يرضون من نيل الحق أيسر ما ينال .

إن هذه المعاهدة الجديدة التي تمخضت عنها المفاوضات الطويلة تقوم على أربعة أساس :

الأول : أن الجلاء سيتم بعد ثلاث سنين

الثاني : أن تعد مصر بأن تقوم مع انجلترا بالعمل الذي تتبيّن ضرورته في حالة تهديد سلامة أي دولة من الدول المتاخمة .

الثالث : مجلس دفاعٍ مشترك يقرّر الرأي في الذي سموه « تهديد السلامة » وجعلوا له حق تنظيم الأسباب التي تسهل مهمة اشتراك الجيش المصري مع الجيش الإنجليزي في الحرب .

الرابع : أن تكون الأهداف الأساسية في مسألة السودان هي تحقيق رفاهية السودانيين وتنمية مصالحهم وإعدادهم « إعداداً فعلياً » للحكم الذاتي ، وممارسة حق اختيار النظام المستقبل للسودان ، وإلى أن يتم ذلك بعد التشاور مع السودانيين تظل اتفاقية سنة ١٨٩٩ سارية وكذلك المادة ١١ من معاهدة ١٩٣٦ — هذا محصّل ما تقوله المعاهدة الجديدة .

ومصر تقول إنها لا تثق بالمواعيد الإنجليزية المتعلقة بالجلاء فقد بلتْ ذلك أكثر من ستين عاماً فلم تر إلا شراً ، وإنها لا تريد أن تُقِرّ ساعة واحدة للانجليز بالبقاء الشرعي في بلادها فكيف ترضاه وتوقع عليه وتعترف بشرعيته ثلاث سنوات طوالا .

وتقول إن تحديد السنوات خداع وبيل العواقب غير مأمون النية فإنها لا تدري ماذا عسى أن يكون غداً أو بعد غد ، وإن الإنجليز قادرون إذا شاؤوا على الجلاء في أقل من ستة أشهر جلاء كاملا

عن كل نقمة من بقاع هذا الوادى ، فالإطالة مُرادَةٌ لنفسها لأسباب جهلها من جهلها وعلمها من علمها . وقبيح بامرىء ذاق الذل من وعود الانجليز ستين عاماً أن يجهل شيئاً عن مثل هذا الوعد المدخول المكتم بالأسرار .

أما الأساس الثانى : فان مصر تقول إن بلاء البلاد المتاخمة لمصر هو كبلائها مثلا بمثل . فالانجليز هم الجاذب الداعى إلى أن يعتدى عليها معتدٍ طاغٍ يريد أن يضرب انجلترا فى مكامنها ، كما كانوا سبباً فى عدوان الألمان والإيطاليين على مصر فى الحرب الأخيرة السالفة . فلماذا يريد الإنجليز أن يتخذونا أعواناً وأنصاراً على إذلال جيراننا ، وأن يجعلونا نعترف ضمناً بأن لهم حق الدفاع عن هذه البلاد التى سلطوا عليها بَغْى استعمارهم ؟ ولماذا تسفك مصر دماء أبنائها فى سبيل المحافظة على هذه الامبراطورية التى ملأت رحاب الأرض جوراً ؟

ثم إن هذا العدوان إذا وقع ، فهو النذير العريان بالحرب العالمية الثالثة ، والمعتدى فيه معروف منذ اليوم للانجليز ولغير الانجليز . والأسباب الداعية إلى انفجار هذا البارود راجع إلى أسباب أخرى غير الرغبة فى التوسع . وهو جشع الاستعمار القائم اليوم فى هذا الشرق الأوسط والشرق الأدنى والهند . يوم يقع هذا العدوان فالدُّنيا كلها ستهبّ هبة رجل واحد ، ولا يدرى أحدٌ منذ اليوم كيف يكون الأمر غداً وأين تكون مصلحته ، فعلام تريدنا إنجلترا أن نتعجّل ، وأن ندخل نحن فى حروبها التى ضرّمتْ نيرانها منذ كانت ، وأن نفرض على أنفسنا منذ اليوم قيداً لعلّ غداً يأمرنا أن نعيد إلى خلافه حتى لا نكون طعمة للمنصور إذا كانت إنجلترا هى الخاسرة ؟ أليس يقول لنا ذلك المنصور يومئذ ، لقد قاتلتمونى وحاربتمونى فأنا أستحلّ ديارَكم وبلادكم وأقداركم بحكم الفتح ؟ فاذا تقول مصر يومئذ ؟ ومن زعمَ أن سياسة الدنيا سوف تجرى غداً على النهج الذى جرت عليه حتى اليوم ، فقد أنكر عقله وأنكر تلك القوى الباملة التى تؤثر فى سياسات العالم . ثم لماذا تريد إنجلترا أن تكون قيِّمةً على مستقبلنا ونحن شعبٌ حىٌّ حرٌّ يريد أن تكون بلاده ملكاً له ليتوخى لها مراشدها التى ينبغى أن يتوخاها ؟ وإذا كان الانجليز يؤمنون بأن مصلحتنا غداً ستكون فى أن تكون معهم يداً واحدة ، فعلام الجزع إذن ؟ أو يظنون أننا نخرج غاصباً من بلادنا ثم ندعها تُنهبُ تتعاورها أيدى لصوص الأمم فلا نؤازرهم فيما نرى أن لنا فيه منفعة وصلاحاً ؟ اللهم إن الانجليز يعلمون أننا على حق فى هذا كله وأنهم هم المبطلون ، وإنما يريدون بهذا النص أن يمكثوا فى بلادنا سادة يستضعفوننا ويمنعوننا أن نفعل فى بلادنا ما نريد ، أى أن نظل أمة لاجيش لها ، ولا مصانع فيها ولا قوة لها ، وأن تظل « مجالا حيويا » لها ولأشياعها وأتباعها من نفايات الأمم وحثالات الشعوب ، وأن يكون وجودهم بيننا معواناً لهم على تفريق كلمتنا وتشتيت قلوبنا ، وأن يظل المصرى يحس بهذا الاحساس القبيح الذى يوهن القوى ، وهو أنه غريب فى بلاده .

أما الاساس الثالث : فهو شىء باطل كله لأنه مبنى على الثانى ، ولأنه شىء لامثيل له فى تاريخ معاهدات الدنيا كلها ، ولأن أخطاره على مصر أخطار موبقة . فإن كلمة القوى هى العليا ؛ فاذا قلنا لانجلترا إننا نرى كذا وكذا ، وقال إنجلترا هذا المجلس ، كلا إن هذا ليس لنا برأى ! فمن يكون الفيصل بيننا يومئذ ؟ أليست هى قوة الانجليز نفسها ؟ وإذا كانت مصر تخرج اليوم من استعباد خمس وستين سنة ، فهل تظن أن الرجال المصريين الذين سيضمهم هذا المجلس ، سوف يكونون أو يختارون إلا ممن ترضى عنهم إنجلترا وتقول إنها تستطيع « العمل معهم » ؟ هل يظن غير هذا عاقل ؟ يالهذه من سخرية بنا وبعقولنا وبعقول كل من يقرأ هذه السفسطة الانجليزية ! .

أما الأساس الرابع ، فان مصر لم تعترف قط باتفاقية سنة ١٨٩٩ وان تعترف بها ، وهذه المعاهدة تريدنا أن نعترف بها ، وتريدنا أيضا أن نرضى سلفاً عن أبشع المبادىء التى لاعقل فيها . وهى بتر جنوب مصر عن شمالها . فالسودان ليس أمة نحن مستعبدوها بل هى جزء من مصر من أقدم عصور التاريخ ، وهى أهم لمصر من مصر نفسها بشهادة عقلاء الساسة من إنجليز وغيرهم . ولو فرضنا أن فئة أضلتها الأموال الانجليزية والوعود البريطانية والأكاذيب الملفقة ، قامت فى السودان وقالت : إنى أريد أن أكون أمة وحدى ودولة وحدى ، فهل يُقبل هذا إلا إذا قبلت إنجلترا مثلا أن تقوم اسكتلندة — وبين الاسكتلنديين